المصوّتات العربيّة في أبحاث المستشرقين
(دراسة وتحليل)

م.د. بشرى حسين علي الفضليّ
وزارة التربية – ثانوية كلية بغداد للمتميزين

الملخص :

حظيت المصوّتات العربيّة باهتمام المستشرقين وعنايتهم. وقد أجمع المستشرقون أنَّ عدد المصوّتات في اللغة العربيّة ستة، ثلاث قصيرة وهي (الفتحة والكسرة والضمة) وثلاث طويلة وهي (الألف والواو والياء)، وكان للمستشرق "براجستراسر" رؤية مختلفة، فهو يرى أنَّ عدد الموصوّتات العربيّة كانت أثنتين لا ثلاثاً ، وأنَّ الفتحة حركة كاملة ، أما الضمة والكسرة فهما حركتان ناقصتان ، لا فرق بينهما في الأصل معنىً ووظيفةً . وعُني المستشرقون بدراسة الكّمية الصوتية، وقياس المدة الزمنية بين المصوّتات الطويلة والقصيرة في مؤلفات علماء العربيّة وعلماء التجويد . وكان لأصوات المدّ الفرعيّة في اللغة العربيّة نصيبٌ في أبحاث المستشرقين اللغويّة ، وهي الإمالة ، والتفخيم ، والروم والإشمام .

المقدمة : تقسم الأصوات إلى قسمين :- الأول: الأصوات الصامته (السواكن) Consonants الثاني: المصوّتات أو (العلل) .Vowels ، وقد كان علماء العربية على إدراك تام بطبيعة المصوّتات وتقسيمها إلى قصيرة وطويلة، والقصيرة ثلاث، والطويلة ثلاث، ولكلٍّ مصوّت منها أوضاعٌ مختلفة بحسب موقعه، وما يجاوره في السياق. وقد وقف المستشرقون على بحث عدد المصوّتات في اللغة العربية واللغات الساميّة بنوعيها (الأساسية والفرعية)، ومتابعين امتداد النطق بالحركات الفرعية في اللغة العربيّة واللغات الساميّة الأخرى .

عدد المصوّتات : أجمع المستشرقون على أن عدد المصوّتات في العربية ستة، ثلاث قصيرة، وهي الفتحة والضمة والكسرة، وثلاث طويلة وهي الألف والواو والياء[١]. وهذا ما أجمع عليه المحدثون العرب أيضاً[٢] الا أنَّ المستشرق "رابين" يرى أنَّ هناك ما يدل على ((وجود حركة رابعة في السامية الأقدم (Proto Semitic) بالإضافة إلى الحركات العربيّة الثلاث. وهذه الحركة هي كسرة طويلة ممالة للفتحة /ى ى/)) [٣].وأوضح رابين أنَّ وجود هذه الحركة أو عدم وجودها كان موضوعاً لمناقشة حادة بين المستشرقين "بارث وفيشر وسارو". إلا أنَّ بعض المستشرقين المتأخرين أنكر وجود هذه الحركة أمثال "باورلينذر "و"ف. ر. بلايك"[٤].

وقد أكّد "بروكلمان" وجودها كما نقل "رابين" يقول: ((وقد ذكر بروكلمان في حديث عن الحركات الطويلة الصوت السامي القديم (ē)، وأنه نشأ عن أدغام الحركات: (e) a-i وأنه تحول في العربية القديمة إلى ā وأن كان قد بقي كما هو ē في بعض اللهجات، أو دخلها من جديد، كما أنَّه تحوّل في العبريّة والآراميّة والآشوريّة إلى (ē) مغلقة)) [٥].

ويرى "براجستراسر" أن الحركات الممدودة في اللغة العربية توافق الحركات الممدودة الموجودة في اللغة الساميّة الأم، إلا أنَّ بينهما فرقاً طفيفاً، إذ يحتمل أن اللغة الساميّة الأم كان لها حركة ممدودة رابعة، هي (e) وهذه الحركة صارت (ā) في العربية الفصيحة؛ مثل كلمة : "جار" يطابقها في العبرية gēr "ونار" يطابقها (nēr)" نور"، وإن خالفتها في المعنى [٦] .

وعلّق "رابين" على رأي "براجستراسر" بإن "براجستراسر" قال بوجود هذه الحركة عندما ناقش قضية المادة الجوفاء للفعل اللازم ، فهو يدخل هذه الحركة في اعتباره في السامية الأقدم [٧]. وبعد مناقشة آراء المستشرقين توصل " رابين" إلى قناعة بوجود حركة رابعة في اللغة الساميّة الأم، يقول: ((وليس هناك ما يمنع من وجود نظام للحركات تكون فيه الحركات الطويلة أكثر من القصيرة، ومثل هذا النظام يخالف النظام الثلاثي الذي ألفناه للحركات الطويلة والقصيرة في العربيّة الفصحى (و – ا – ي) وسيكون نظام الحركات الطويلة في الساميّة الأقدم بناءً على هذا رباعياً [اا – ى ى– وو – ى ىى]))[٨]. وقد أكد المستشرق "موسكاتي" وجود الإمالة في النظام الحركي لكثير من اللغات الساميّة[٩]. فإنَّ اللغة الساميّة الأمّ عرفت صوتاً رابعاً بين الفتح والكسر (ألف الإمالة)، وأنّه كان يمثل صوتاً مستقلاً، أذ يؤدّي تغييره إلى تغيير المعنى ثُم أخذ في بعض اللغات الساميّة يفقد استقلاليّته ويتحوّل إلى صورة نطقيّة Allophone من نحو ألف الإمالة في العربيّة [١٠] . ويظهر عدد الحركات في في اللغة العربيّة بوضوح وبعلميّة على مربّع "دانيال جونز" للحركات المعيّارية وهي تمثل مواضع (الحركات الأساسيّة) في النظام اللّغويّ العربيّ [١١].

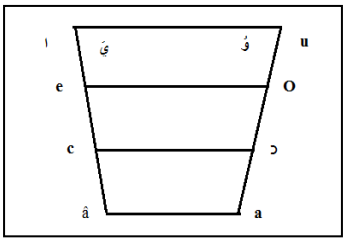

توزيع الحركات على مربّع دانيال جونز

وأكّدت الباحثة "أوديت بتي" أنَّ الحركات العربيّة، تشتمل على ستّ صوتيّات (Phonemes) موزّعة بالتساوي على ثلاث صوتيّات قصيرة هي الكسرة والفتحة والضمة، التي تتميّز في الطول وفي الكمّ عن الصوتيّات الطويّلة: الألف والواو والياء[١٢] . وقد وضعت الباحثة مخططاً وضّحت فيه (المنظومة المصوّتيّة للغة العربيّة)[١٣]. وترى إنّ هذا (المخطط) ذو ثلاثة حدود تميّزه خاصّةُ مخرج الحرف وخاصّةً الطول التي تسمح بشطر المجموعة الجزئيّة الأولى بطريقة متساوية على الشكل الآتي :

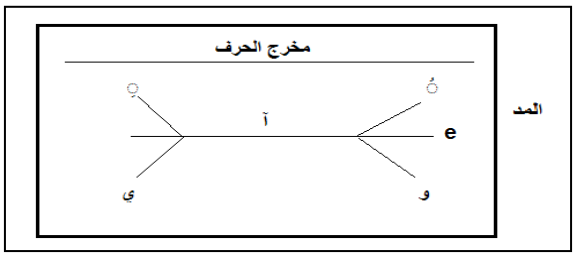

وزعم "برجستراسر" أن ((الحركات المقصورة كانت في الأصل اثنتين لا ثلاث، يعني حركة كاملة، هي الفتحة وحركة ناقصة أحياناً تشبه الكسرة، وأحياناً تشبه الضمّة.))[١٤] يقول: ((ونحن نشاهد في العربيّة آثاراً كثيرة تدلّ على أنّ الكسرة والضمّة لا فرق بينهما في الأصل معنىً ووظيفة، وأنّ كثير من الأفعال ماضيها إمّا فَعِل أو فَعُلَ وقد يوجد فرق بين الصيغتين، لكنّه قليل الأهمّيّة إلى الفرق بين: فَعَلَ وفَعِل، أو بين فَعَل وفَعُل. وكثير من الأفعال مضارعه إما يفعُل أو يفعِل، والفرق بينهما أقل من الفرق بين فَعِل وفَعُلَ، وأحياناً لا يقتصر التطابق على الحركتين المقصورتين، بل يتعدّاهما إلى الممدودتين))[١٥]،ويرى "براجستراسر" أنّ مقابلة سائر اللغات السامية تؤكد ما استنتجه من العربيّة[١٦].

واستدلّ "برجستراسر" على صحّة كلامه بوجود ميزتين أو خاصّتين في اللغات الساميّة: ((إحداهما: أنّ اللغة الحبشيّة فيها حركتان مقصورتان فقط، هما الفتحة المقابلة للفتحة العربيّة، والـ (e) المقابلة للكسرة والضمّة. الثانية: أن كثيراً من الكلمات التي وزنها ((فِعْل) يقابله في سائر اللغات الساميّة (فُعْل) وبالعكس. مثال ذلك: أن ((البِكر) هو في الاكديّة: Burko وفي العبريّة: bkor وفي الآراميّة bukra))[١٧]. و"ظِلّ" في الآراميّة : ṭullā ، والأكديّة والعبريّة توافقان العربيّة، في أنّ "الظلّ" فيهما: Şillu ؛ Şēl ... والاسم في الأكديّة : Šumu وفي الآراميّة : Šuā أصلها : Šum والعبريّة توافق العربيّة، فهو فيها Šēm))[١٨]. فكلمة البِكر بكسر الفاء في العربيّة يقابلها (البُكرِ) بضم الفاء في العبريّة والآراميّة مع تطابق دلالتي الكلمتين. وقد كان علماء العربيّة قد أكدّوا هذا الاستعمال، قال ابن الحاجب في كتاب الشافية: ((واعلم أنّهم استعملوا اللغتين (أي الضّم والكسر في المضارع) في ألفاظ كثيرة كعرش يعُرِش ونفر ينفِر...))[١٩]. لقد كانت القبائل العربيّة القديمة لا تثبت على حال واحدة في ضبط عين المضارع بواحدة منهما[٢٠]. ويرى بعض المحدثين أنَّ أقوى سبب لهذا الانتقال بين المصوتين ، هو ((أنّها مرنة وأن بعضها يتغلّب على بعض، على حسب ما يبدو في الجهاز الصوتيّ من حركات وتقوّس وامتداد، وبذلك تتبدّل هذه الحروف ويتحوّل بعضها إلى بعض))[٢١]. وتوصل "برجستراسر" عبر استقراء المادة الصوتيّة في اللغة العربيّة إلى أنّ في النظريّات الصوتيّة والمشاهدات في اللغة العربيّة نفسها ما يثبت صحّة وجود حركتين متضادتين (تضاد الكسر والضم حركة واحدة)[٢٢] يقول: ((أنّ كلَّ الأصوات، صامتة كانت أو صائتة جنسان: صوت ثبات، وصوت انتقال، وذلك أنّ الصوت إمّا أنّ يخرج وآلات النطق من اللسان والحنك والشفتين وغيرهما، ثابتة في وضعها، أو يخرج وآلات النطق تمرُّ وتنطلق وتتحرّك ، من وضع إلى وضع . والأوّل هو الغالب ولو لم يكن كذلك لما أمكن فهم الكلام البتة)) [٢٣]، وأكّد "براجستراسر" ((أنّه لابدّ من تداخل أصوات انتقاليّة في الأصوات الثباتيّة، مثال ذلك: أنّه إذا نطقنا كلمة: "ما " وجب ضرورة أن تكونْ الشفتان

أوّلاً مطبقتين، ثم مفتوحتين، فلا بد من تحركهما وانتقالهما من وضع الانطباق إلى وضع الفتح، فإذ إنا لا نقطع النطق في هذه الأثناء، بل تظلّ الحنجرة مفتوحة، والأوتار الصوتيّة مهتزّة وسير الزفير متواصلاً، يخرج صوت أو أصوات في أثناء ذلك الانتقال ضرورة وهي أصوات انتقاليّة غير أنّ مدّة الانتقال قصيرة جدّاً... لذلك لا ندرك أكثر الأصوات الانتقاليّة بالسمع))[٢٤]. وعلّل "برجستراسر" تطابق الكسرة والضمّة دون الفتحة، ((أنّ الفتحة في اللغات الساميّة، كانت دائماً حرفاً ثباتيّاً فإنّ آلات النطق كانت في وضع تعين لنطقها، فهي حركة كاملة معينة، وأنّ اختلفت أنواع نطقها اختلافاً جزئياً ظاهراً. والكسرة والضمّة كانتا حرفين انتقاليّين، فهما حركتان ناقصتان غير معينتين ليس بينهما فرق معلوم ثابت، بل صوتهما تابع للحروف الصامتة السابقة والتالية لهما في الكلمة))[٢٥]. والحقيقة أنّه لا خلاف بين القدماء والمحدثين، ومنهم المستشرقون في أن عدد المصوّتات في العربيّة ثلاثة من حيث النوع، ستة من حيث الكمّ. فالمحدثون يرون أنّ الحركات الأساسيّة في اللغة العربيّة ثلاث هي الفتحة والكسرة والضمّة، هذه المصوّتات تكون قصيرة وطويلة فالقصيرة، هي ما اصطلح عليها ابن جنّي بالحركات ، والطويلة ما سمّاها بحروف المدّ واللين.

الكمّيّة وقياس المدّة الزمنيّة بين المصوّتات الطويلة والقصيرة:

تعرف الكمّية المُدركة المحسوسة بالكمية الذاتية (وهي الكمية الوظيفية functional أو اللغوية) . تلك هي الكمية التي نشير إليها حين نتحدث لغوياً عن قصار الحركات وطوالها . [٢٦] ويستعمل علماء الصوّتيات المصطلح (length) للتعبير عن الكمية الوظيفية اللغوية بينما يحتفظون بالمصطلح (duration) للتعبير عن الكمّية المُقاسة .[٢٧] من القضايا المهمّة الّتي عَني بها المستشرقون قضيّة الفرق في الكمّيّة بين المصوّتات الطويلة، والمصوّتات القصيرة. واصطلح "كانتينو "على تسمية الوقت الّذي يستغرقه طول الحركة في الحركات الطويلة بـ (المدى) يقول: ((الحركات الطويلة الّتي يمتدّ فيها إخراج النفس امتداداً يصير معه مدى النطق بها مساوياً لمدى النطق بحركتين بسيطتين وقد يتعدّى ذلك)).[٢٨] وكان علماء العربيّة قد عبّروا عن هذا المفهوم بالإشباع.[٢٩] وهو أن تكون الحركة الطويلة تساوي حركتين قصيرتين . ويتّضح ذلك في ما ذكره ابن جنّي قوله: ((ويدلّك على أنّ الحركات أبعاضٌ لهذه الحروف، أنّك متى أشبَعتَ واحدةً منهُنّ حَدَثَ بعدها الحرفُ الّذي هي بعضه، وذلك نحو فتحة عَين عَمَرَ فإنَّكَ إن أشبَعْتها حَدَثَتْ بعدها ألف فقلتَ عامر...)).[٣٠] وقوله: ((فقد ثبت بما وصفناه من حال هذه الأحرف إنّهن توابع للحركات متنشئة عنها، وإنّ الحركات أوائل لها أجزاء منها، وأنّ الألف فتحة مشبعة، والياء كسرة مشبعة، والواو ضمّة مشبعة)) .[٣١] ويتّضح تصوّر النحاة العرب للعلاقة بين المصوّتات الطويلة والقصيرة في قولهم بأنّ الحركة بعض من الحرف و يعزّز هذا الاستنتاج

قول سيبويه : ((وليست الحركات إلاّ أصواتاً ليّنة لا تختلف عن الألف والواو والياء إلاّ من حيث الكمّ، فالفتحة بعض الألف، والضمّة بعض الواو والكسرة بعض الياء، وقد التفت الخليل إلى هذا حين قال: "الفتحة من الألف والكسرة من الياء، والضمّة من الواو" .[٣٢]

وقد تبنّى ابن جنّي الرأي نفسه بقوله: ((اعلم أنَّ الحركات أبعاض حروف المدّ واللين، وهي الألف والياء والواو ، فكما أنّ هذه الحروف ثلاثة، كذلك الحركات ثلاثة، وهي الفتحة والكسرة والضمّة، فالفتحة بعضُ الألف، والكسرة بعض الياء، والضمّة بعض الواو)) [٣٣] . وأوضح "هنري فليش " أنَّ علماء العربيّة أدركوا الفرق الكمّيّ بين الحركات الطويلة والحركات القصيرة ، لكنّه أخذ عليهم عدم قياسهم مدّة الاستطالة في أصوات المدّ (الحركات الطويلة) ويتّضح ذلك في قوله: ((ويمثل حروف المدّ صوتاً مصوّتاً مستطيلاً، غير أنّ مدّة هذه الاستطالة لم تقس؛ إذ إنّهم لم يتصوروا الجانب الكمّيّ منها))[٣٤].

ولم ينكر "هنري فليش" معرفة العرب الجانب الكمّيّ (العلاقة الكمّيّة بين الحركات الطويلة والقصيرة) وتوهّم الباحث حسين خلف صالح الجبوري في رسالته الموسومة [٣٥] (جهود علماء العربيّة في دراسة المصوّتات في ضوء الدرس الصوتيّ الحديث) مقتطعاً العبارة الأخيرة من نصّ "هنري فليش" المتقدّم. وهي قوله: ((... إذ إنّهم لم يتصوّروا الجانب الكمّيّ منها)) وبنى عليها حكماً خاطئاً هو ان "فليش" انكر معرفة علماء العربيّة لهذه الحقيقة الواضحة . وهذا غير صحيح ودليلي على ذلك أمور متعدّدة:

١- النصّ الّذي أورده "هنري فليش " لابن جنّي من كتاب سرّ صناعة الإعراب، وجعله أصلاً من أصول نظريّة ابن جنّي الصوتيّة، ومرتكزاً أساسيّاً لنظريّته المصوّتيّة، وهو قوله: ((الحركات أبعاض* حروف المدّ))[٣٦].

٢- الدراسة الّتي قدّمها "هنري فليش" عن كتاب سرّ صناعة الإعراب، والّتي خصّ الجزء الأكبر منها في الحركات، وطبيعتها وتقسيمها على حركات طويلة وقصيرة، والعلاقة بينهما.

٣- النصوص الكثيرة الّتي ذكرها علماء العربيّة عن الإشباع، والألف الطويلة والألف القصيرة، والكسرة الطويلة والياء القصيرة...الخ الّتي لا بدّ أن يكون المستشرق " فليش" قد اطّلع عليها، وهي تعكس الفهم الدقيق لعلماء العربيّة القدامى لهذه العلاقة [٣٧].

٤- إنّ فكرة الكمّيّة الصوتيّة بين الحركات حقيقة علمية معروفة في كلِّ اللغات الإنسانيّة الأخرى.

إنّ مدّة الاستطالة (الزمن) الّذي يستغرقه نطق الصوت هو ما ركّز عليه المستشرقون. ويرى "هنري فليش" أنّ كلمة (بعض) وجمعها أبعاض، أو جزء جمع أجزاء في عبارة ابن جنِّي: (الحركات أبعاض حروف المدّ) غامضة، والعلاقة التي تعكسها علاقة الكلّ بالجزء [٣٨] وهي علاقة غير محدّدة، في ما يختصّ بكمّيّتها. والحقّ أنّ "هنري فليش" كان

دقيق النظر في هذه المسألة، لأنّ كلمة بعض الّتي تعني جزء وكلمة جزء أيضاً لا يعطيان التصوّر الدقيق لطول المدّة (مدة الاستطالة) وقياسها الزمنيّ. وممّا زاد المسألة غموضاً عند "هنري فليش" عبارة مطل الحركة في (الحركات الطويلة) الّذي ينتج من إشباع (الحركات القصيرة) التي تحدّث عنها ابن جنّي في موضع آخر من سرّ الصناعة [٣٩]. وهذا المصطلح لا يعطي تحديداً دقيقاً، ويُبقي فكرة القياس عائمة، كما أنّه يتعارض مع الفكرة الأولى التي طرحها ابن جنّي وهي الحركة جزء من الحرف (البعضية)؛ وذلك لأنّ الجزء يعني أقسام ... وصوت المدّ يعني استمراره؛ يقول "فليش": ((فهو استمرار غير منقطع لحرف المدّ المتدفّق، وليس وصلاً لأجزاء قابلة للتلاحم))[٤٠] وعليه قرّر " فليش" أنّ هذا الحساب المستعمل لاستخراج الجزء من الكلّ ينبغي له أن لا يخدعنا على حد قوله [٤١] ؛ إذ لم يقتنع بكلام ابن جنّي. ويرى " كانتينو" أنَّ ما جاء في كتاب (المنح الفكريّة) لعليٍّ القارئ يمثل رأياً مهمّاً وحاسماً في هذه القضيّة. وقد استشهد بنصّ لعليّ القارئ نقله عن براڤمان، استدلّ به على وضوح فكرة الكمّيّة الصوتيّة بين المصوّتات الطويلة والقصيرة؛ يقول: (("الألف" أي الفتحة الطويلة، تتكوّن من فتحتين، والواو من ضمّتين والياء من كسرتين))[٤٢]. واضاف "كانتينو " ((في هذا النصّ دليل أساسيّ على أنَّ الناطقين بالعربيّة يشعرون بأنّ الحركة الطويلة تضاهي حركتين قصيرتين وذلك كما يفعل الناطقون بلغات أخرى يؤثر الإيقاع الكمّيّ فيها تأثيراً أساسيّاً))[٤٣]. فهو يرى أنّ العرب تصوّروا أنّ المصوّت الطويل معادل لمصوّتين قصيرين. وقد أحسن " كانتينو " وقبله " براڤمان" في اختيارهما لعليّ القارئ ؛ لأنّ فكرة القياس (قياس المدّة) الزمنيّة ظهرت واضحة عند علماء التجويد ومن بينهم ((عليّ القارئ الهرويّ)) (ت١٠١٤هـ- ١٦٠٥م). وعلّل عبد الصبور شاهين اختيار كانتينو لعليّ القارئ دون سواه من علماء التجويد؛ بإنّ براڤمان لم يذكر مثالاً سواه[٤٤].فقد نقل "كانتينو" ما ذكره عن "براڤمان" في كتابه (مواد وابحاث في النظريات الصوتيّة عند علماء التجويد .

وأرى أنّ اكتفاء "كانتينو" "وبراڤمان" بمثال واحد لا يقلّل من أهمّيّة ما ذكراه ، فهو تحديدٌ دقيقٌ، وإنْ عَبَرا فوق الجهود السابقة لعلماء العربيّة ؛ لأنَّ ما توصّل إليه علماء التجويد كان قد سُبق بمحاولات، وجهود كثيرة لعلماء العربيّة لتحديد مدّة القياس الزمنيّ للمصوّتات العربيّة الطويلة والقصيرة، وما ذكره عليّ القاري كان قد ذكره غيره من علماء التجويد[*]. وقد عَمَد الباحثون المحدثون إلى متابعة التطوّر التاريخيّ لفكرة العلاقة الكمّيّة بين المصوّتات الطويلة والقصيرة عند علماء العربيّة القدامى، حتّى استقرّت على ما هي عليه عند علماء التجويد [٤٥]. إنّ أهمّ ما ذُكر عن الكمّيّة الصوتيّة في المصوّتات العربيّة ما ذكره ابن سينا؛ إذ يقول: ((إنَّ المصوّتة (الألف) تقع في ضعف أو أضعاف، زمن الفتحة، وأنّ الفتحة تقع في أصغر الأزمنة الّتي يصحّ فيها الانتقال من حرف إلى حرف...))[٤٦].

والنصّ يوضّح توضيحاً بعيداً (مدّة القياس)، وإن لم يحدّد الزمن بالثانية، فقوله ضِعْف يعني أنّ الحركة مرّتين، أمّا قوله أضعاف فيرى الباحث حسين خلف: ((أنّها ربّما تعني ثلاثة أضعاف الحركة، وزمن الحركة وزمن المصوّت القصير يكون في ثلث زمن المصوّت الطويل))[٤٧] وما ذكره تحديد كمّيّ أيضاً، والكمّيّة قياس نسبيّ، ويُبقي فكرة الزمن (المدّة) غير محدّدة تحديداً دقيقاً لأنّ طول الحركة تحدّده المشافهة.

وما مهّد له ابن سينا أكمله ابن الطحان وغيره من علماء العربيّة؛ فقد أخذوا الفكرة، وزادوا عليها، وكان كلامهم فيها أكثر تحديداً [٤٨]. وبعد ذلك ظهرت فكرة القياس بوضوح عند علماء التجويد [٤٩]. وأكّد د. غانم قدوري الحمد ان علماء التجويد استطاعوا أن يضبطوا النسبة بين الحركة وصوت المدّ وتوصلوا الى طريقة لقياسه يقول ، ((أنّ الفرق بين الحركة وصوت المدّ الذي هي منه فرق في الكمية ، وأنّ ذلك الفرق يمكن أن يقاس، وابتكروا طريقة لقياسه، وهي احتساب الحركة أساساً للقياس، فقالوا: إنّ الألف مثلاً يساوي فتحتين، وعكس بعد ذلك العلماء المقياس فقالوا: الفتحة تساوي نصف الألف. وهذه الطريقة وإن لم تحدّد كمّيّة الحركة وحرف المدّ بالقياس إلى الزمن المتمثل بالثانية وأجزائها تعدُّ خطوة متقدّمة جدّاً في مجال قياس الأصوات وإدراك حقائق الأصوات الذائبة والعلاقة بين أنواعها))[٥٠] .

وأكّد المحدثون أنّ طول الحركة أو قصرها، ليس محدّداً بزمن معيّن في أيّة لغة من اللغات، إنّما هو أمر نسبيّ مرهون بسرعة الأداء وبطئه [٥١]، وعوامل اخرى مثل أرتفاع الحركة أو هبوطها ، ونوع الساكن التالي لها ، وما إذا كانت الحركة خلفية أو أمامية [٥٢].

وأرى أنّ فكرة الكمّيّة كانت واضحة عند علماء العربيّة، على عكس ما صوّرها "هنري فليش" حينما أراد أن يُلبسَ المسألةَ ثَوبَ الغموضِ. وينبغي لي أن أوضّح بعض الأمور:

١- أنَّ العلماء العرب أقرّوا بالفرق الكمّيّ بين المصوّتات الطويلة والقصيرة، ويتّضح ذلك من مصطلحاتهم(*) ونصوصهم الّتي توضّح مفهوم هذه العلاقة.

٢- لم يستطع أحد من العلماء المتقدمين والمتأخرين أن يحدد قياس المدة (الكمّيّة) زمنيّاً بالثانية، لعدم توافر الأجهزة والتقنيات الحديثة في قياس مدة الصوت.

٣- إن قضيّة الكمّيّة يحكمها الذوق الخاصّ لكلّ شعب، فالتطويل في الصوت؛ سواء أكان صامتاً أم صائتاً يرتبط بعوامل خاصّة لكلّ شعب من الشعوب، وقد يمثل عادة لهجيّة عند بعض الأقوام، وربما يرتبط بموروث ثقافيّ تتصف به لغة منطقة دون أخرى.

أصوات المدّ الفرعيّة (المصوّتات الفرعيّة) :

وهي أصوات نشأت من جرّاء تعامل أصوات المدّ العربيّة الأساسيّة بعضها في بعض، ((ولم تستعمل هذه الأصوات يوماً لتعبّر عن قيم فونيميّة خاصّة بل بقيت صورة نطقيّة، تميّز لهجة من لهجة أخرى من غير أن تثير إشكالاً دلاليّاً، أو صرفيّاً))[٥٣] وهذه

الأصوات؛ هي: الإمالة، والتفخيم، والروم، والإشمام. ويرى " موسكاتي" أنّ الاختلافات الواسعة في نوع أصوات المدّ العربيّة، عكسها النحو التقليديّ، وكذلك دراسة تاريخ اللهجات، إذ يسجّل النحاة العرب الاتّجاهات الرئيسة التي لحظوها لهذه الاختلافات[٥٤].

١ – **الإمالــة:** الإمالة لغةً: الميل: العدول إلى الشيء والإقبال عليه[٥٥]؛ سمّاها الخليل الإجناح في ما روى سيبويه عنه قوله: ((فزعم الخليل أنَّ إجناح الألف أخفّ عليهم، يعني الإمالة))[٥٦] ، فالإمالة من مصطلحات سيبويه، وسمّاها ابن يعيش العدول ((عدول بالألف عن استوائه وجنوح به إلى الياء فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة وبين مخرج الياء))[٥٧]. ((والإمالة في الأصل الميل بالفتحة إلى جانب الكسرة فيستلزم ذلك الميل بالألف إلى جانب الياء.... والإمالة لغة تميم وسائر العرب ما عدا الحجازيّين والألف الممالة عند العرب كحرف E عند الأفرنج))[٥٨]. قال ابن جني : ((معنى الإمالة: هو أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، فتميل الألف نحو الياء، لضرب من تجانس الصوت. وذلك قولك في(عَالم) عَالِم (عابد) عابِد وفي (سَالم) سالِم، وفي (جَالس) جالِس وفي (رَمَى) رمِي وفي (سَعَى) سَعِي، ونحو ذلك))[٥٩]. والفرق الصوتيّ بين الإمالة والفتح؛ ((أنّ الألف الممالة صوت لين نصف ضيق، أمّا الألف غير الممالة – في حالة الفتح – فصوت لين نصف متّسع))[٦٠].

وذهبت الدراسات الحديثة إلى عدّ ((الإمالة ألفوناً حركيّاً لأنّها تحقّق صوتيّ يضاف إلى حركات اللغة العربيّة. فهي حركة تتوسّط الفتحة والكسرة، فلا هي بفتحة خالصة ولا كسرة خالصة))[٦١]. ويمكن تحديد درجتين أساسيّتين من درجات الإمالة:

١- إمالة قصيرة: نشأت نتيجة النحو بالفتحة نحو الكسرة، ومن الممكن أن نرمز لها بالرمز (e).

٢- إمالة طويلة: نشأت نتيجة النحو بالألف نحو الياء، ومن الممكن أن يرمز لها بالرمز (ē) [٦٢] .

أولى المستشرقون موضوع الإمالة في اللغة العربيّة، واللغات السامية الأخرى اهتماماً خاصّاً. وظهر مفهوم الإمالة واضحاً لديهم. وهو ((جنوح بالألف إلى صوت الياء وبالفتحة إلى صوت الكسرة))[٦٣]. يقول "كانتينو": و((نقول اليوم في اصطلاحاتنا الصوتيّة إنَّ الإمالة هي نطق الفتحة (ـَ) نطقاً أماميّاً فيقترب مخرجها من مخرج الـ "e" في الفرنسيّة بل وحتى الـ "i"))[٦٤]. ويرى "وليم رايت" أنَّ هذا التحوّل في صوت ā إلى ē وتحوّل صوت الفتحة من الـ a إلى e، حدث في الأزمنة المتأخرة وفي أماكن معيّنة[٦٥]. وأكّد المستشرقون وجود حركة رابعة في السامية الأم ، وهي الكسرة الطويلة الممالة للفتحة/ى ى/.[٦٦] أمّا المحدثون فقد عرّفوا الإمالة بأنّها ((صوت طليق(*) يحدثُ من ارتفاع مقدّم اللسان نحو منطقة الغار، ارتفاعاً يزيد على ارتفاعه مع الفتحة المرققة ويقلّ عن ارتفاعه مع الكسرة، ويكون وضع

الشفتين مع الإمالة وضع انفراج إلاّ أنّه دون الانفراج الّذي يكون مع الكسرة))[٦٧]. وعدَّ "براجستراسر" الإمالة جنسين الأوّل: ((هو تنوّع نطق الفتحة الممدودة، تشبيهاً لها بالحروف المجاورة لها، وبسائر حركات الكلمة، ... ومن هذا الجنس كلّ ما يوجد من الإمالة في اللهجات الدارجة أو أكثره، ومنه أيضاً ما أماله القرّاء البصريّون، وأشهرهم أبو عمرو، وبعض الكوفيّين والمدنيّين، كإمالة الألف الممدودة قبل راء مكسورة، في مثل: (أبصارِهم) و (حمارِك)))[٦٨]. وهو ما أطلق عليه النحاة العرب الإمالة المحضة أو (الكبرى)؛ يقول سيبويه: ((الألف تمال إذا كان بعدها حرفٌ مكسور. وذلك قولك: عابِد وعالِم.... وإنّما أمالوها للكسرة الّتي بعدها، أرادوا أن يقربوها منها... فالألف قد تشبه الياء فأرادوا أن يقربوها منها))[٦٩]. وعدّ " براجستراسر" الجنس الثاني– وهو عنده أهم الجنسين– : ((إمالة ما لا داعي لإمالته في الحروف المجاورة للفتحة الممالة، ولا في سائر حركات الكلمة. ومن هذا الجنس ما أومأ إلى إمالته الإملاء، وبالأخصّ رسم القرآن الكريم بياء تكون حرف المدّ، بدل الألف نحو "رَمَى"))[٧٠]. وتقرأ رَمِي وهذا ما أطلق عليه العرب (إمالة بين بين). قال ابن الجزري: ((واختار الإمالة الوسطى التي هي بين بين ، لأن الغرض من الإمالة حاصلٌ بها، وهو الإعلام بأن أصل الألف الياء، أو التنبيه على انقلابها إلى الياء في موضع أو مشاكلتها للكسرة المجاورة لها أو الياء)) [٧١].

وأكّد كانتينو: ((أنَّ النحاة العرب يميزون بين الإمالة الشديدة أو "المحضة" أي إمالة تبلغ "e" (وهي حركة أماميّة نصف منغلقة) بل وحتى الـ "i" أي الكسرة وبين إمالة بين بين أو "المتوسّطة" يكون الصوت فيها بين الفتحة "a" والكسرة "i" أي "ā" في المرجّح))[٧٢].

وتحدّث "كانتينو" عن أسباب الإمالة الّتي ذكرها النحاة العرب، يقول: ((فالذي ينحو بالألف نحو الكسرة عندهم هو وجود ياء أصليّة في الكلمة أو وجود ياء أو كسرة في المقطع المجاور للألف))[٧٣]، ويرى كانتينو أنها ظاهرة مقيّدة [٧٤]، وهذا ما أشار إليه المستشرق " شاده " ايضاً [٧٥]. أي: مقيّدة بسياقات معيّنة كما ورد ذلك عن سيبويه في ما ذكره من أسباب الإمالة فقد زعم: أنَّ الألف تمال **أوّلاً** : إذا كان في المقطع الموالي لها كسرة نحو "عابِد" و "عالِم" و "مساجِد" و "مفاتيح" و "غذافِر"[٧٦].

وثانياً: إذا كان في المقطع السابق لها كسرة نحو "عِماد" و "كِلاب" و"سِربال" (وهو القميص أو الدرع) و "شِملال" (وهي الناقة السريعة)، وأخيراً إذا كان في أصل الكلمة ياء من ذلك نطقهم بالإمالة في ماضي الأفعال الناقصة اليائيّة؛ نحو "بكِى" و "رمِى" و "مشِى" كذلك في الأسماء المقصورة الّتي تنتهي بألفٍ مقصورة أصلها ياء نحو "حبلى" و "معزَى" وكذلك في ماضي الأجوف اليائيّ؛ نحو "بَاد" (أي اضمحلّ) و "قَال" (أي ضعف) و "نابَ" أي ضربه على نابه... وغيرها[٧٧]. ووصف "كانتينو" تفسير سيبويه لأسباب الإمالة بالعرض المبيّن؛

لكنّه تردّد في قبول هذا التفسير، ورأى أنّه ((لا يطابق الأمثلة الواردة في لغة التخاطب، وأنّ وصف العرب وتبريرهم لأسباب الإمالة أقرب إلى البراعة منه إلى إرضاء العقل، والدليل على ذلك أنّهم اضطرّوا إلى تفسير إمالة "غَزَا" و "صفَا" و "دعَا" وهي أفعال ناقصة واويّة إلى الركون إلى صيغة المبنيّ للمجهول نحو "غُزِيَ" أو إلى صيغ المزيد نحو "أغْزَى" (بألف مقصورة أصلها ياء)؛ وذلك لأنّ في هذه الصيغ ياء وكذلك اضطرّوا في تفسير إمالة "مَاتَ" وأصله مَوَتَ بالواو إلى الالتجاء إلى صيغة المتكلم في الماضي؛ وهي "مِتُّ"؛ وذلك لاحتواء هذه الصيغة على كسرة. ومن ذلك يظهر ما في مثل هذه التفسيرات من تكلّف))[٧٨]. وعليه اقترح "كانتينو" عدَّ الإمالة ظاهرة مطلقة تصيب جميع الفتحات الطويلة ((على أنّه يمكن التمييز في هذا الصدد بين الفتحات الطويلة الواقعة داخل الكلمة والفتحات الطويلة الواقعة آخرها ما لم يطرأ عليها مانعٌ من موانع الإمالة))[٧٩]. ويعتقد" شاده" أنَّ سيبويه يعزو سبب الإمالة إلى مشابهة الألف للياء[*]. ويشكّ شاده في وجود هذه المشابهة، ويرى ((أنّهما وإن كانت كلتاهما متّسعتي المخرج، فمخرج الألف – لو كان لها مخرج– من الحلق وهو رأي سيبويه، أو بالأحرى مؤخر اللسان، كمخرج الفتحة، الّتي تدلّ الألف على مدَّها وأمّا مخرج الياء فهو من مقدَم اللسان))[٨٠]. ولكن "شاده" إلى جانبٍ من اعتراضه، اعترف بفضل سيبويه، وأنَّ تفسيره بالإجمال تفسير صحيح[٨١]. إلا أنّه خطّأ سيبويه؛ لأنّه لم يفهم سبب إمالة بعض الحروف، ويعزو سبب خطئه – أي سيبويه– إلى أنّه اقتنع برئاسة الحروف على الحركات اقتناعاً كاد أن يمنعه يعدَّ أيَّ حركة هي سببُ تغيير لفظِ حرفٍ. بعكس ما يؤمن به شاده؛ وهو أنّ الحروف تتأثر بكسرة تالية أو سابقة تأثراً لا يقلّ عن قابليّة الفتحة للإمالة، ويرى شاده أنّه لا يوجد فرق أساسيّ بين الحادثتين[٨٢]. ويرد ما ذكره "شاده" بشأن تخطئة سيبويه ؛ لأنّه جعل للحركة أثراً على الحروف، ويتجلّى ذلك في توجيهاته للإعلال والإبدال.

موانع الإمالة: وافق "كانتينو" النحاة العرب تمام الموافقة في ضبطهم لموانع الإمالة؛ أي: الحروف الّتي إذا جاوزت الألف مُنعت إمالتها؛ وهي ((الحروف السبعة المستعلية الصاد والضاد والطاء والظاء والقاف والخاء والغين، وكذلك الحرفان المفخّمان في بعض مواقعهما أي الراء واللام))[٨٣]. ((ولا يبطل مفعول هذه الحروف في منع الإمالة إلّا القياس كما جاء في كتاب سيبويه وجوب قراءة "قاعِد" و "غائِب" و "خامِد" و "صاعِد" و "وطائِف" و"ظامِن" و"ظالِم" وكذلك "راشد" "والله" بدون إمالة))[٨٤]. وذكر سيبويه علّل منع (أصوات الاستعلاء) للإمالة بكونها ((حروفاً مستعلية إلى الحَنَك الأعلى، والألف إذا خرجت من موضعها استعلت إلى الحَنَك الأعلى، فلمّا كانت مع هذه الحروف المستعلية غلبت عليها، كما غلبت الكسرة عليها في مساجد ونحوها فلمّا كانت الحروف مستعلية وكانت الألف تستعلي وقربت من الألف كان العمل من وجه واحد أخفّ عليهم، كما أنّ الحرفين إذا تقارب موضعهما كان

رفع اللسان من موضع واحد أخفّ عليهم فيدغمونه))[٨٥]. وذكر ابن يعيش أنَّ الألف تمال ((إذا كانت في فعل كطاب وخاف....))[٨٦] ولم ينظر إلى ما انقلبت عنه [٨٧]، وذهب سيبويه قبله إلى جواز إمالة خاف[٨٨]. وعرضَ كانتينو هذه المسألة بقوله: ((إلّا أنّ سيبويه يقول: بأنّه يجب قراءة "خافَ" بالإمالة (رغم وجود الخاء) وذلك لأنّ في صيغة "خِفْتُ" كسرة وكذلك "طَاب" (للكسرة في طِبْتُ) و "سَار" (للكسرة في سِرت)))[٨٩]، ويرى كانتينو أنّ في ذلك من الغرابة؛ إذ لا يطابق النطق الحاليّ ألبتّة [٩٠]. ولعلّ الإمالة كانت في هذه المواضع لأسباب تتعلّق بالنبر، فقد ذكر "بروكلمان" أنَّ جنوح الألف والفتحة في الآشوريّة إلى الإمالة بتأثير أصوات المدّ المجاورة، إنّما كان بتأثير النبر في ذلك الموضع[٩١].

وكثرة حالات الإمالة يفسّر مدى انتشار الإمالة في اللهجات العربيّة القديمة وقوّتها، وقد ذهب ابن يعيش إلى أنّ " الإمالة أكثر كلام العرب"[٩٢]، ولحظ السيوطيّ أنَّ هذه الإمالة قد وصلت إلى طائفة من الحجازيّين[٩٣]. وقد أكّد المستشرق "رابين" أنّ الفتحة الطويلة في اللهجات الشرقية (لهجات شرق الجزيرة العربية) كانت تمُال في الفعل الأجوف المسند للغائب. وفي الحجاز توجد الإمالة في كل الحالات حتى لو كانت مجاورة لساكن لهوي أو مفخم، وذلك مثل: (هِيب، وخِيف، وطِيب، وصِير، مِيت) بالإمالة في (هاب، وخاف، وطاب، وصار، مات) [٩٤]. وخلاصة ما ذكره "رابين" أنّ الإمالة في اللهجات العربية هي:

١. الإمالة الشرقية تعدّ الحركة / ى ى/ أحد أفراد الصوتيم / ا ا/ عندما يتجاور مع صوتيم معين آخر.
٢. اللهجات الحجازية تعدّ الحركة الممالة /ى ى/ صوتيماً مستقلاً يمكن أنْ يقال بانّه قد نشأ نتيجة للمحاكاة الصوتيّة التي قال بها "بروكلمان" وقد استبعد "رابين" مسألة المحاكاة الصوتية؛ لأنّها لا تنطبق على كل الأفعال المجوفة، وانه لم يسمع بوجود هذه القاعدة المضطردة التي تجعل الياء الوسطى حركة ممالة (مع الغائب المفرد وسواه في الماضي) [٩٥].

ونقل "كانتينو" عن "فوللرز" ((أنَّ الإمالة كانت شديدة بصفة خاصّة في لهجات شرقيّ الجزيرة العربيّة، وإلى أنّها كانت أخفّ بكثير في لهجات الحجاز))[٩٦]، وجاء في دائرة المعارف الإسلاميّة أنّ الإمالة كانت في لهجات بعض القبائل، وقد استطاع سارو Saraw بالاعتماد على سيبويه أن يثبت أنّ الإمالة الناشئة عن كسرة شائعة بين عرب شرقيّ الجزيرة وأنّها حديثة العهد نسبيّاً، وأنّ ما عداها خاصّ بالحجاز وأنّها تمثل امتداد الكسرة عن الساميّين البدائيّين[٩٧]. ويرى د. غالب فاضل المطّلبيّ ((أنَّ انتشار الإمالة في غير الحالات الأساسيّة الّتي ذكرها سيبويه توضّح أنّ هذه الإمالة تحتلّ معظم مكان الألف في نطق اللهجات القديمة، وما كانت قاصرة على سياقات معيّنة مشروطة وإنّما خرجت إلى غيرها من

السياقات))[٩٨]. وعَدَّ المستشرق "شاده" ما ذكره سيبويه من إمالة الألف في (يَضرِبَها) إلى الياء، ليس إلى حركتها[٩٩]. غلطاً وقع فيه سيبويه بسبب وهمه أنّ هذه الألف حرف صحيح، ومن المفهوم أنّها ليست إلاّ علامة خطّيّة يُشار بها إلى مدَّ الفتح السابق[١٠٠]. يريد أنّها فتحة طويلة ناشئة عن إمالة الفتحة القصيرة في (يضربهَ). وقد أكّد المستشرق "كانتينو" استمرار استعمال الإمالة في اللهجات العربيّة الحديثة؛ سواء أكانت إمالة شديدة جدّاً كما هو الحال بواحة سْحنة شرقيّ مدينة تدمر نحو قولهم "حِيجبْ" في حاجب –و"شِيربْ" في "شارب"؛ وكذلك في إمالة الفتحة نحو الكسرة منتشرة انتشاراً كبيراً؛ فتمتدّ في الشرق على منطقة تضمّ أكثر مناطق لبنان، وجبل الدروز، وواحة تدمر[١٠١]. ((وأمّا الإمالة الضعيفة أي (ä) فكثيرة جدّاً إلى درجة أنّ البحث عن اللهجات الّتي لا تقع فيها هذه الإمالة ألبتة أولى من البحث عن اللهجات الّتي تقع فيها))[١٠٢]، وتابع المستشرق "رايت" امتداد الإمالة في لهجة عرب المغرب يقول: ((يلفظ عرب المغرب صوت الـ ā عمليّاً في الكثير من الأحوال وكأنّه ī وعليه تلفظ كلمات رِكَابُ Rikâb ، لكِن Lâkin ... وكأنّها ركِيب rikèb ، لـيكن Lèkin))[١٠٣]. وأشار "براجستراسر" إلى اهتمام المقرئين بالإمالة مقتصرين على ما وجدوه منها في قراءات القرآن الكريم، وأنّ النحويّين لم يوفوها حقها[١٠٤]. وأكّد "براجستراسر" شيوع الإمالة في اللهجات الدارجة[١٠٥]. وعدّ بعض الباحثين الإمالة خصيصة لهجيّة[١٠٦]. والحقيقة والحقيقة أنّ كثرة ورود الإمالة في كلام العرب؛ سواء ما انطبقت عليه التفسيرات والعلل الّتي ذكرها سيبويه والنحاة الآخرون (علل الإمالة)، أو لم تنطبق، وهو ما نسبه سيبويه إلى استعمال العرب، وهو عند "كانتينو" الرأي الأفضل[١٠٧]. إنَّ كثرة ورود هذه الأمثلة في كلامهم دليلٌ على شيوع الظاهرة، وأنَّها غير مقيّدة بسياق محدّد. وترى الباحثة أنّها ظاهرة مطلقة زماناً، ومكاناً، واستعمالاً. وهي ظاهرة قديمة امتدّت جذورها في اللهجات المعاصرة، في الكثير من الأقطار العربيّة[١٠٨]. وممّا تقدّم يتّضح جليّاً أنَّ الإمالة ليست خاصّة لهجيّة فحسب ، وقد حاول بعض الدارسين ربطها باللهجات ، إلّا أنّهم لم يستطيعوا أنَّ ينكروا وجودها في لغة الخطاب وقد أكّد كانتينو وبعض المحدثين ثبوت استعمال الإمالة في اللهجات المعاصرة في مدن عربيّة كثيرة. مثل تدمر، ولبنان، وشمال أفريقيا، وهي ليست مناطق بدويّة. وهذه الظاهرة منتشرة في مدن عراقية ايضا مثل: حديثة والموصل وبعض مناطق بغداد.

٢ – التفخيم:

التفخيم لغةً: التعظيم، وفخَّم الكلام، عظَّمه [١٠٩] . وفي الاصطلاح: ((هو الأثر السمعي الناشئ عن تراجع مؤخّرة اللسان بحيث يضيق فراغ البلعوم الفمويّ عند نطق الصوت))[١١٠].

ألف التفخيم: وهي الحركة الّتي تكون بين الألف والواو، نحو قولهم: سلُام عليك، وقُامَ زيدٌ. وعلى هذا كتبوا: الصلوة، والزكوة، والحيوة؛ بالواو؛ لأنّ الألف مالت نحو الواو[١١١]. والتفخيم هو إمالة ايضاً (ولكن جنوح الألف نحو الواو) وهذا رأي الدكتور "إبراهيم إنيس" يقول: ((أن تنحو بالفتحة والألف نحو الواو)) [١١٢]. وحين النطق بهذا الصوت تستدير الشفتان قليلاً، مع اتّساع الفم؛ نتيجة لحركة الفكّ الأسفل، ويرتفع مؤخّر اللسان قليلاً عمّا كان عليه حين نطق الفتحة الطويلة المحضة[١١٣].فهي حركة خلفيّة بين المتّسعة ونصف المتسعة[١١٤].

ويرى "كانتينو" ((أنّ تفخيم الألف هو نطق بعض الفتحات الطويلة كالـ ö (أي " eu ") الفرنسيّة وكثيراً ما ترسم هذه الفتحات الطويلة بواسطة الواو من ذلك بالخصوص كلمة "صلاة" و"زكاة" و"حياة" فكانت تنطق "صلُوة" و"زكُوة" "وحيوة"))[١١٥]. وذكر "الداني" أنّ هذه الحركة وجدت في قراءة الحجازيّين لكلمة الصلاة، والزكاة، والحياة[١١٦]. الإ إنَّ التفخيم لم يكن مقصوراً على الحجازيّين وحدهم؛ إذ ورد في اللسان ((أنَّ أهل اليمن يقولون الحياة بواو قبلها فتحة.... وكذلك يفعل أهل اليمن بكلَّ ألف منقلبة عن واو كالصلوة والزكوة))[١١٧].

وأطلق "شاده" مصطلح (الفَتْح) على التفخيم متأسّياً بشيخ النحاة سيبويه، يقول: ((الفتح عكس الإمالة، ويعني المحافظة على اللفظ الأصليّ للفتحة[*] والألف، فعبّر سيبويه عنها بـ (الفَتْح)[١١٨]، ويعني: الفتح الخالص، أو النصب [١١٩]. ويعزوه إلى الحروف الّتي يشترك مؤخّر اللسان في إنتاجها[*] وإلى الفتحة والضمّة[**]، ولا شكّ أنّ له الحقّ في ذلك))[١٢٠]. ويؤكد "رابين" بإنّ مختلف المصادر العربيّة القديمة التي نقل عنها وصفت الفتحة الحجازية الطويلة / ا ا/ بانّها ألف خالصة النطق أو بانّها تفخيم أو فخامة[١٢١]. يرى ((أنّ التفخيم لم يكن يعني سواى النطق الواضح الخالص)) [١٢٢]. وذكر "رابين" أن التفخيم الشديد هو الذي يسمّيه "مكي ابن ابي طالب" ألف التفخيم، ولم يكن هذا مسموحاً به فحسب بل كان مدوناً منذ القدم بكتابة الفتحة الطويلة واواً لا الفاً. وكان هذا يحدث في الأسماء المؤنثة التي تنتهي بألف وتاء مربوطة، ليستا زائدتين في الكلمة. وعند الوقف تسقط التاء المربوطة في النطق وتصير الألف في آخر الكلمة وتنطق كما لو كانت واواً عليها يقع النبر، وذلك كما في "صلوة" "وزكوة" "ونجوة" "وغدوة" "ومشكوة" "ومنوة" بالإضافة إلى كلمة "الربو". (صلاة، زكاة، نجاة، غداة، مشكاة، مناة، الربا) [١٢٣]. وأشار "رابين" إلى إن هذه الكلمات قد كتبت جميعاً بالواو في أقدم النصوص المخطوطة وفي أغلب النسخ القرآنية . ولكن بعض المخطوطات الكوفية قد كتبت هذه الكلمات بالألف، كما تكتب بالخط العربي المتأخر[١٢٤]. ويرى "رابين" أن تفخيم الألف وكتابة الواو في (صلوة) ليست سوى تمثيل لأحد بدائل صوتيم الفتحة الطويلة الذي يوجد في موقع خاص هو "الموقع الأخير" ذو النبر[١٢٥]. وأكَّد "كانتينو" أنَّ التفخيم عكس الإمالة، وأنّ النحاة العرب يعدّونه خاصّيّة دارجة؛ فسيبويه

يقول إنّه من لغة الحجاز، وقد تحدث هذه الظاهرة نفسها بصفة مقيّدة، أي بعد الحروف المفخّمة[١٢٦]. وإنّه ((يكثر في الألسن الدارجة العربية دخول جرس خلفي على الفتحة الطويلة الطويلة القديمة فتصير å، وذلك إذا كانت بجوار الحروف المفخمة. فقد لاحظ المستشرق "و. مارسي" عند أولاد ابراهيم بمدينة صيدا أنهم يقولون "رَاسْ" (rāṣ) "خْطَى" (ḫtā) أي (خَطَأ)... كل ذلك بفتحة طويلة خلفية تميل إلى الواو)) [١٢٧]. وأكّد "كانتينيو" ثبوت هذا الاستعمال في الشرق ايضاً بمدينة تدمر[١٢٨]. وفسّر "كانتينو" نطق أهل وادي قديشة بشمال لبنان مثلاً نطقهم "لْسَانْ" (Lsān) و "شَافْ" (Šāf) بفتحة طويلة خلفيّة بأنّه يرجع إلى تأثير الطبقات اللّغويّة السفلى بتلك الجهات : فمن المعلوم أنّ الفتحات الطويلة القديمة؛ وهي الّتي تقع عليها النبرة تصير في العبريّة وفي اللغة الفينقيّة إلى حركات خلفيّة نصف منغلقة طويلة (ō) وإلى ضمّات طويلة (ū) [١٢٩]. وتحدث "رابين" عن امتداد النطق بالفتحة الطويلة /ا ا/ الشبيهة بالضمة / و و/ (إنّها توجد في بعض اللهجات الحديثة بجنوب الجزيرة العربيّة. وفي الشمال تتغير الفتحة الطويلة ذات النبر إلى ضمة نصف ضيقة طويلة/ و و/) وهو أمرٌ معروف في كنعانية تل العمارنة ، وفي العبرية، والفينيقية وفي السوريانية الغربية حيث تنطق الفتحة الطويلة /ا ا/ كالضمة / و و/)[١٣٠].

٣ – الإشمام :

الإشمام مشامّة، وجاء في لسان العرب (شمم): ((شاممتُ فلاناً إذا قاربته وتعرّفت ما عنده... والشمّ: الدنوّ))[١٣١]. وفي الاصطلاح: ((هو حالة من حالات الوقف على الصوت في الكلمة المرفوعة وهي أن تقفَ على الصوت دون إتباعه حركة الضمّ، وإنّما تضمّ شفتيك فقط))[١٣٢]، وعرّفه "موسكاتي" بأنّه جنوح للكسرة: i إلى الضمّة :u [١٣٣]. ولخّص "كانتينو" مفهوم الإشمام عند النحاة العرب بأنّه : ((نزعة الكسرة الطويلة أحياناً إلى الاقتراب من جرس الضمّة الطويلة ويذكرون في هذا السياق أمثلة مستقاة من الأجوف المبنيّ للمجهول نحو "قِيلَ" و "بِيعَ" و"سِيقَ"))[١٣٤] . وقد تعرّض علماء العربيّة إلى الإشمام من منظور إيمائيّ إشاريّ يخصّ إشارة العضو المنتج للحركة دون الإصابة بها [١٣٥] .

قال سيبويه : ((وأمّا الإشمام.. إنّما كان ذا في الرفع لأنَّ الضمّة من الواو، فأنت تقدر أن تضع لسانك في أيّ موضع من الحروف شئت ثُمَّ تضمَّ شفتيك؛ لأنّ ضمَّك شفتيك كتحريك بعض جسدك، وإشمامك في الرفع للرؤية وليس بصوت للأذن...))[١٣٦] . وهذا يعني أنَّ حركة اللسان لا تتغيّر عمّا كانت عليه عند نطق (الياء)، وإنّما يتغيّر شكل الشفتين فقط، ولذلك لا يدركها الأعمى؛ لأنّها لرؤية العين كما عبّر عنها العلماء العرب. الإشمام إذن هو ظاهرة صوتيّة حركيّة، تعني الإشارة إلى الحركة بالعضو المنتج لها. وعلّل "سيبويه" استعمال الإشمام في كلام العرب، فقال: ((فأمّا الّذين أشمّوا فأرادوا أن يفرّقوا بين ما يلزمه

التحريك في الوصل، وبين ما يلزمه الإسكان على كلِّ حالٍ... وأمّا الّذين لم يشمّوا فقد علموا أنّهم لا يقفون أبداً إلّا عند حرفٍ ساكن، فلمّا سكن في الوقف جعلوه بمنزلة ما يسكن على كلّ؛ لأنّه وافقه في هذا الموضع))[١٣٧]. وعلّل "كانتينو" الإشمام بقوله : ((وقد يكون اعتلال جرس الكسرة الطويلة (ī) وانقلابها (ΰ) أو (uī)* راجعاً إلى تذكّرهم الصيغة العاديّة الّتي يكون عليها الفعل المبنيّ للمجهول نحو قُتِلَ، وهي صيغة تحتوي على ضمّة في مقطعها الأوّل أو إلى تأثير حرف مجاور مفخّم، أو لهويّ، أو من وسط الحلق))[١٣٨] . وأكدّ "رابين" ((أن صيغة الماضي المبني للمجهول من مادة واوية العين تكون في اللهجات الشرقية بكسرة تستدير معها الشفتان /ىْ/))[١٣٩].

نتائج البحث:

١- يعامل المستشرقون المصوّتات الطويلة والقصيرة على أنّها فونيمات مستقلّة لا تقلّ شأناً عن الصوامت.

٢- ذهب أكثر المستشرقين إلى أنَّ عدد الحركات في العربيّة ستة – ثلاثة قصيرة وثلاثة طويلة– باستثناء براجستراسر؛ فقد عدّها حركتين الفتحة وهي حركة كاملة، والكسرة والضمّة، (حركتان ناقصتان).

٣- أخذ المستشرقون على علماء العربيّة عدم تمكّنهم من قياس الكمّيّة (مدّة الزمن) بين المصوّتات الطويلة والقصيرة، ولم يحدّد واحد منهم هذه المدّة تحديداً دقيقاً بالثانية .

٤- لم يكن هنري فليش دقيقاً في تخطئة علماء العربيّة في بعض آرائهم الصوتيّة.

٥- أستطيع القول: إنَّ مناقشة "هنري فليش" لآراء ابن جنّي في البحث المتقدّم من الدراسات الفريدة، والعلميّة البحت، بحث "فليش" قضايا مهمة جداً في دراسة المصوّتات العربيّة، واستطاع أنْ يستثمر اهتمام ابن جنّي بالمصوّتات في كتابه (سر صناعة الأعراب) ليبين أثر المصوّتات في تشكيل النظام الصوت العربي مع السواكن.

٦- اهتمّ المستشرقون اهتماماً خاصّاً بدراسة الحركات الفرعيّة في اللغة العربيّة وكان المستشرق" كانتينو" أكثرهم تفصيلاً في الحديث عنها، ولم يخرج في ما ذكره عمّا قاله علماء العربيّة .

٧- اهتمَّ المستشرقون اهتماماً كبيراً بالإمالة والتفخيم في اللهجات العربيّة، واللغات الساميّة .

٨- أبدى المستشرق "كانتينو" اهتماماً خاصّاً بمتابعة امتداد النطق بالمصوّتات الفرعيّة؛ كالإمالة، والتفخيم، والإشمام في اللهجات العربيّة الحديثة، وفي أماكن متفرّقة من الوطن العربيّ.

الهوامش :

(١) ينظر: التطور النحوي للغة العربية ، للمستشرق براجستراسر ، اخرجه د. رمضان عبد التواب : ٥٤، مكتبة الخانجي ، القاهرة ط ٣ ، ٢٠٠٣م ، وفقه اللغات السامية ، للمستشرق كارل بروكلمان : ٤٠، ترجمه عن الالمانية د. رمضان عبد التواب ، مطبوعات جامعة الرياض ، السعودية ، ١٩٧٧ ، والعربية الفصحى للمستشرق هنري فلش : ٣٥ ، تر د. عبد الصبور شاهين ، دار المشرق ، بيروت ط٢ ، ١٩٨٦ ، ودروس في علم أصوات العربية للمستشرق جان كانتينو : ١٤٧، نقله الى العربية صالح القرمادي ، نشريات الجامعة التونسية ١٩٦٦م.

(٢) ينظر: الأصوات اللغوية، د.إبراهيم أنيس: ٣٠-٣٢، مكتبة الانجلو المصرية ، ط٤ ، ١٩٩٩م ، والمحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها محمد الأنطاكي : ٣٤، دار الشرق ، بيروت ،ط ١، ١٩٧٩م ، وعلم الأصوات ، كمال بشر: ٤٤٥، دار غريب للطباعة والنشر القاهرة ، ٢٠٠٠م .

(٣) اللهجات العربية الغربية القديمة ، للمستشرق حاييم رابين : ١٩٩، تر د. عبد الرحمن ايوب ، مطبعة ذات السلاسل الكويت ، ١٩٨٢م.

(٤) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٥) نفسه: ٥٣.

(٦) ينظر: التطور النحوي للغة العربية : ٥٤.

(٧) اللهجات العربية الغربية القديمة : ١٩٩.

(٨) نفسه : ١٩٩-٢٠٠ .

(٩) ينظر: المدخل إلى نحو اللغات الساميّة المقارن ، للمستشرق سباتينو موسكاتي واخرون : ٨٧، ٩٠، ٩٢ ،٩٤، ٩٥، تر د. مهدي المخزومي و د. عبد الجبار المطلبي ، عالم الكتب بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣م.

(١٠) ينظر: في الاصوات اللغوية - دراسة في أصوات المد العربية د. غالب فاضل المطلبي : ١١٧-١١٨ / الهامش سنة ١٩٨٤، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد..

(١١) ينظر: علم الأصوات: د. حسام البهنساوي: ١٢٣، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٤م، والاصوات اللغوية د. ابراهيم انيس : ٣٢.

(١٢) بحث في فنولوجيا اللغة العربية للمستشرقة أوديت بتي : ١٧١ مجلة الفكر العربي بيروت - لبنان ، ع٨ -٩ ، ١٩٧٩ م.

(١٣) نفسه: والصفحة نفسها.

(١٤) التطور النحوي للغة العربية: ٥٤ و ٦١.

(١٥) نفسه : ٥٤.

(١٦) نفسه : الصفحة نفسها.

(١٧) نفسه : الصفحة نفسها.

(١٨) نفسه : ٥٥.

(١٩) شرح شافية ابن الحاجب ، للشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي ت (٦٨٦ هـ) مع شرح شواهده ، تح : محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محي الدين عبد الحميد ١/٨-١١، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ١٩٧٥ .

(٢٠) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، رمضان عبد التواب : ٩٥ ، مكتبة الخانجي القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٧ ، وينظر: تصحيح الفصيح لابن درستويه (ت ٣٤٧ هـ) : ١١٠، تح : عبد الله الجبوري ، مطبعة الرشاد ، بغداد ، ١٩٧٥ م ، والمزهر في علوم اللغة وانواعها ، جلال الدين الاسيوطي (ت ٩١١ هـ) ١/٢٠٧ شرح وتحقيق : محمد جاد المولى بك ومحمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ١٩٩٢ م .

(٢١) أحرف المدّ الطويلة والقصيرة وأثرها في صوغ الكلمات ومعناها ورنينها، عبد الحميد حسن: ٣٢٩، مجلة مجمع اللغة العربية – القاهرة – (بحوث ومحاضرات / دورة ٣٣) لسنة ١٩٦٦ – ١٩٦٧ م .

(٢٢) ينظر : التطور النحوي للغة العربية : ٥٥ .

(٢٣) نفسه : الصفحة نفسها.

(٢٤) ينظر: نفسه : ٥٥- ٥٦.

(٢٥) نفسه : ٥٦.

(٢٦) الصوتيات ، مارتيل مالمبرج ، تر، محمد حلمي هليل : ١٤١ ، ع للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، مصر ط١ ، ١٩٩٤م .

(٢) نفسه والصفحة نفسها ، هامش رقم (١)

(٣) دروس في علم اصوات العربية : ١٤٥ – ١٤٦ .

(٤) ينظر : الكتاب : ٤ / ٢٠٢ ، وسر صناعة الاعراب ، لأبي الفتح عثمان بن جني ت (٣٩٢ هـ) : ١/ ٣٤ ، تح : مصطفى السقا ومحمد الزفزاف وابراهيم مصطفى وعبدالله أمين ، دار احياء التراث – مصر ط١ ، ١٩٥٤ م . ومفاتيح العلوم للخوارزمي : ٣١ .

(٥) سر صناعة الاعراب : ١/ ٣٤ .

(٦) نفسه ١/ ٣٨ .

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي اعماله ومنهجه ، مهدي المخزومي : ١٠٦ – ١٠٧ مطبعة الزهراء – بغداد ، ١٩٦٠م وينظر الكتاب: ٤/٢٤٢.

(٣٣) سرّ صناعة الإعراب:١/٣٣.

(٣٤) التفكير الصوتيّ عند العرب في ضوء سرّ صناعة الإعراب للمستشرق هنري فلش : ٨٧، مجلة مجمع اللغة العربية – القاهرة ج ٢٣ ، ١٩٦٨ م.

(٣٥) ينظر: رسالة ماجستير (جهود علماء العربيّة في دراسة المصوّتات في ضوء الدرس الصوتيّ الحديث)، حسين خلف صالح، ص٨٦. سنة ٢٠٠٣م جامعة تكريت.

(٣٦) ينظر: سرّ صناعة الإعراب: ١/١٩.

* إنّ مبدأ البعضيّة (الحركات أبعاض الحروف) كان قد وضع أسسه الخليل بن أحمد الفراهيدي. وهو مبدأ صوتيّ مهمّ ، يبيّن علاقة البعضيّة بين الحركات الثلاث وحروف المدّ واللين، من طريق وضعه لرموز الحركات بأشكال الحروف المشتقة منها، فالفتحة ألف مصغرة، والضمّة واو مصغرة، والكسرة ياء مصغرة.

(٣٧) ينظر على سبيل المثال: الكتاب: ٤/ ١٠١، و٢/ ٢٤٢و ٤/ ٢٠٢، والمسائل البغداديات لأبي عليٍّ الفارسيّ (ت ٣٧٧هـ): ٤٨٧– ٤٨٨ ، دراسة وتحقيق صلاح الدين عبد الله السنكاوي، مطبعة العاني ، بغداد، ١٩٨٣م . وشرح شافية ابن الحاجب (ت ٦٨٦هـ) تح: محمّد نور الحسن ومحمّد الزفزاف، ومحمد محي الدين عبد الحميد: ٢٥٩/٣. والخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني : ٢/ ٣١٧ تح محمد علي النجار ، قدّمه عبد الحكيم راضي – القاهرة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ٢٠٠٦ م . وينظر: ٢/ ٣١٨، ٣٢٠و ٣/ ١٢٣و ١٢٩. وسرّ صناعة الإعراب: ١/ ٣٤– ٣٩.

(٣٨) ينظر: التفكير الصوتيّ عند العرب في ضوء سرّ صناعة الإعراب، هنري فليش: ٧٢.

(٣٩) ينظر: ١/ ٣٤.

(٤٠) التفكير الصوتيّ عند العرب في ضوء سرّ صناعة الإعراب: ٧٢.

(٤١) نفسه : ٧٢.

(٤٢) المنح الفكريّة على متن الجزرية للعلامة علي بن سلطان القارىء ت (١٦٠٥م) : ٥٠. مخطوطة في مكتبة المجمع العلمي العراقي برقم (٢٠٢)، ينظر : دروس في علم أصوات العربيّة: ١٥١.

(٤٣) دروس في علم أصوات العربيّة: ١٥١.

(٤٤) ينظر: التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الاعراب :٨٧ ، تعليق عبد الصبور شاهين في الهامش ، وينظر تفصيل ما ذكره د. غانم قدوري في شأن عدم دقة النصّ الذي ساقه كانتينو لعليّ القاري: ص٢٩٩– ٣٠٠. وممّا يؤخذ على الدكتور غانم أنّه نسب التعليق الذي في هامش بحث (التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سرّ صناعة الإعراب) إلى هنري فليش، وهو لعبد الصبور شاهين. ينظر: ٢٩٩– ٣٠٠. الدراسات الصوتيّة عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد ، دار عمار للنشر والتوزيع – عمان ط٢ ، ٢٠٠٧م .

(*) ذكر عليّ القاري أنّ ما ذكره نقله عن الشارح اليمني. ينظر على سبيل المثال: المنح الفكريّة، ص٥٠ ، والدراسات الصوتيّة عند علماء التجويد : ٢٩٩ ومصدريه خلاصة العجالة: ١٨١، والدرّ النضيد في معرفة التجويد: ٦٣.

(٤٥) ينظر: الدراسات الصوتيّة عند علماء التجويد: ٢٩٣– ٢٩٨، وجهود علماء العربيّة في دراسة المصوّتات في ضوء الدرس الصوتيّ الحديث: ٧٦– ٨٦، حسين خلف صالح الجبوري.

(٤٦) أسباب حدوث الحروف لأبي علي الحسين ابن سينا ت (٤٢٨ هـ) : ١٧، شرح وتحقيق فرغلي سيد عرباوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ط١ ٢٠١١م .

(٤٧) جهود علماء العربيّة في دراسة المصوّتات في ضوء الدرس الصوتيّ الحديث: ٨٥.

(٤٨) ينظر: شرح المراح في التصريف للعيني: ١٣٧، حققه وعلق عليه: عبد الستار جواد ، مؤسّسة المختار للتوزيع والنشر، ط١، ٢٠٠٧م، ولطائف الإشارات في فنون القراءات، لأحمد بن محمد القسطلاني ت (٩٢٣ هـ) : ١/ ١٨٧ ، تح عبد الصبور شاهين والشيخ عامر السيد عثمان ، ١٩٧٢ م وينظر: الدرّ النضيد: ٣٦ عن

(الدراسات الصوتيّة عند علماء التجويد) :٣٥١.

(٤٩) ينظر: التفكير الصوتيّ عند العرب في ضوء سرّ الصناعة: ص٨٧، الهامش، تعليق عبد الصبور شاهين.

(٥٠) الدراسات الصوتيّة عند علماء التجويد: ٢٩٨.

(٥١) ينظر: أصوات اللغة ،عبد الرحمن ايوب : ١٤٩ مطبعة الكيلاني ،ط٢، ١٩٦٨ .

(٥٢) ينظر : الصوتيات مارتيل مالمبرج ، تر ، محمد حلمي هليل : ١٣٨ – ١٣٩ ، وعلم اللغة العام ، كمال بشر : ١٩٣ .

(*) من مصطلحاتهم: بعض وجمعها أبعاض، مطل الحركة، الإشباع، جزء من الكلّ، منشأ الحروف، ومتنشئة منها، وحركة صغرى، زمن الحركة، فتحة طويلة، الألف الصغيرة، والواو الصغيرة والضمّة الطويلة، كسرة مشبعة... الخ.

(٥٣) في الأصوات اللّغويّة– دراسة في أصوات المد العربيّة، غالب فاضل المطلبي: ١٦٢، ط١.

(٥٤) ينظر: المدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن : ٩٣.

(٥٥) ينظر: لسان العرب لأبن منظور : مادة (مال) : ١١/ ٦٣٦ ، قدم له الشيخ عبدالله العلايلي ، دار صادر– بيروت – لبنان د.ت .

(٥٦) الكتاب: ٣٧٨/٣.

(٥٧) شرح المفصل ، للعلامة موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش ت (٦٤٣ هـ) : ٩ /٥٤ ، عالم الكتب – بيروت – مكتبة المتنبي ، القاهرة د.ت .

(٥٨) تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربيّة، حفني ناصف: ١٣، ط٣ سنة ١٩٧٣، القاهرة.

(٥٩) اللمع في العربيّة: ٣١١،وينظر المقتضب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ت (٢٨٥ هـ) : ٣/ ٤٢ تح : محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب – بيروت د.ت. وسر الصناعة: ١/ ٥٥.

(٦٠) ينظر: البحث الصوتي عند العرب، خليل إبراهيم العطية: ٧٨ دار الشؤون الثقافية ، الموسوعة الصغيرة : ١٢٤ – بغداد .

(٦١) حركات العربيّة– دراسة صوتية في التراث الصوتيّ العربيّ، عبد الحميد زاهيد؛ ١٠٦ المطبعة والوراقة الوطنية – مراكش ٢٠٠٥ م.

(٦٢) في الأصوات اللّغويّة– دراسة في أصوات المد العربيّة: ١٦٣.

(٦٣) دروس في علم أصوات العربيّة: ١٥٦، وفقه اللغات السامية، بروكلمان : ٦٥ ، وعلم الأصوات عند سيبويه وعندنا ، للمستشرق آرتور شاده : ٥٥ دراسة وتعليق د. صبيح محمود التميمي ، مجلة آداب الرافدين – الموصل ، ع ٢٨ ، سنة ٣٩ ، ٢٠١٠م.

(٦٤) دروس في علم أصوات العربيّة: ١٥٦.

(٦٥) قواعد اللغة العربيّة (AGrammar of the Arabic Language) : ١٠ ترجمه عن الالمانية كاسباري ، وحرّره مع تصويبات عدة ، وليم دبليو رايت طبعة كامبردج ١٩٥٥م ، نقله الى العربية م.م حازم مالك الربيعي ٢٠١٣ م .

(٦٦) ينظر : اللهجات العربية الغربية : ١٩٩والمدخل الى نحو اللغات السامية المقارن : ٨٧ ، ٩٠ ، ٩٢

(*) أطلق الدكتور محمد الأنطاكي على أصوات المدّ (الطليقات).

(٦٧) المحيط في اللغة، محمد الأنطاكي: ١/ ٤٢.

(٦٨) التطوّر النَّحويّ: ٥٩.

(٦٩) الكتاب: ٤/ ١١٧، وينظر: المقتضب: ٣/ ٤٢، والقراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث، مي فاضل الجبوري: ١١٥– ١١٦، ط١، ٢٠٠٠م، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

(٧٠) التطوّر النَّحويّ للغة العربية: ٦٠.

(٧١) النشر في القراءات العشر لأبن الجزري ت (٨٣٣ هـ) : ٢٤/١، تقديم علي محمد الضباع ، دار الكتب العلمية – بيروت ط٤ ، ٢٠١١م .

(٧٢) دروس في علم أصوات العربيّة: ١٥٧.

(٧٣) دروس في أصوات العربيّة : ١٥٧.

(٧٤) ينظر: نفسه : ١٥٧.

(٧٥) وينظر: علم الأصوات عند سيبويه وعندنا: ٥٥.

(٧٦) دروس في علم أصوات العربيّة : ١٥٧– ١٥٨، وينظر: الكتاب: ٤/ ١١٧.

(٧٧) دروس في علم أصوات العربيّة : ١٥٨، ومصدره: الكتاب: ٢٨٥/٢، اعتنى بتصحيحه هرتويغ ، درنبرغ المطبع العلمي الاشرف – باريس ، ١٨٨٥ ، وينظر: ٤/ ١١٧– ١١٩، مطبعة الخانجي، القاهرة.

(٧٨) دروس في علم أصوات العربيّة: ١٥٨.

(٧٩) نفسه : الصفحة نفسها.

(*) أمّا وصف سيبويه للياء غير المدّيّة فمن وسط اللسان بينه وبين وسط الحَنَك الأعلى: الكتاب: ٤/ ٤٣٣.

(٨٠) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا: ٥٥– ٥٦. وينظر: الكتاب: ٤٣٣/٤.

(٨١) ينظر: علم الأصوات عند سيبويه وعندنا: ٥٦.

(٨٢) نفسه : ٥٦.

(٨٣) دروس في علم أصوات العربيّة: ١٥٩. ومصدرهُ الكتاب : ٢٨٥/٢ طبعة باريس كما نقلها كانتينو، وهي في جزأين. وينظر: ١١٧/٤، طبعة القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٥.

(٨٤) دروس في علم أصوات العربيّة : ١٥٩.

(٨٥) الكتاب: ٤/ ١٢٨.

(٨٦) شرح المفصل : ٢/ ٢٦٤.

٨٧) ينظر: دراسة في علم أصوات المد العربيّة: ١٦٨.

(٨٨) ينظر: الكتاب: ٤/ ١٢١ و ١٣١، ودروس في علم أصوات العربيّة: ١٥٩.

(٨٩) دروس في علم أصوات العربيّة: ١٥٩.

(٩٠) ينظر: نفسه : ١٥٩.

(٩١) ينظر: فقه اللغات السامية: ٦٥.

(٩٢) ينظر: شرح المفصل: ٢/ ٢٦٣.

(٩٣) ينظر: همع الهوامع لجلال الدين الاسيوطي : ٢/ ٢٠٠ تح : احمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية – بيروت ط٢، ٢٠٠٦م قال السيوطي: ومنهم من لم يمل إلا في مواضع قليلة وهم أهل الحجاز: ٢/ ٢٠٠.

(٩٤) ينظر: اللهجات العربيّة الغربيّة: ٢٠١.

(٩٥) ينظر: نفسه: ٢٠٤-٢٠٥.

(٩٦) دروس في علم أصوات العربيّة : ١٦٠.

(٩٧) ينظر: دائرة المعارف الإسلامية: ٦١١/٢، نقله إلى العربيّة، محمد ثابت افندي وآخرون، ط١، ١٩٣٣.

(٩٨) دراسة في علم أصوات المد العربيّة: ١٦٦.

(٩٩) قال سيبويه: "وذلك قولك: يريد أن يَضْرِبَها... لأن الهاء خفيّة، والحرف الذي قبل الحرف الذي يليه مكسور، فكأنه قال: يريد أن يضرِبا بإمالة الألف". ٤/ ١٢٣.

(١٠٠) ينظر: علم الأصوات عند سيبويه وعندنا: ٤٥.

(١٠١) ينظر: دروس في علم أصوات العربيّة: ١٦٠.

(١٠٢) نفسه: ١٦٠، وينظر: ١٦١- ١٦٢.

(١٠٣) قواعد اللغة العربيّة وليم رايت : ١٠.

(١٠٤) ينظر: التطوّر النَّحويّ: ٥٩.

(١٠٥) ينظر: نفسه: وصفحه نفسها.

(١٠٦) ينظر: دراسة في علم أصوات المد العربيّة: ١٦٢.

(١٠٧) ينظر: دراسة في علم أصوات المد العربيّة ١٥٨. وينظر الكتاب: ٢٨٥/٢،و ٤/ ١٢٨. وإمالة كلمة "الحَجَّاج".

(١٠٨) ينظر: ما ذكره كانتينو من شواهد استعمال الإمالة في اللهجات العربيّة الحديثة، ص١٦٠- ١٦٢، وكذلك ما ذكرته د. مي فاضل الجبوري في كتابها (القراءات القرآنية بين الدرس الصوتيّ القديم والحديث، ص١٦٧. من استعمال الإمالة في مدينتي حديثة والموصل في العراق.

(١٠٩) ينظر: لسان العرب: مادة (فخم) ٤٤٩/١٢.

(١١٠) المصطلح الصوتيّ في الدراسات العربيّة ، د. عبد العزيز الصيغ : ١٤٥، دار الفكر -دمشق ط٢ ، ٢٠٠٧م.

(١١١) ينظر: سرّ صناعة الإعراب: ١/ ٦٤.

(١١٢) اللهجات العربيّة: ٤٦، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ط٣، ١٧٦٥ .

(١١٣) ينظر: أصوات العربيّة بين التحوّل والثبات ، د. حسام النعيمي : ٢١، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – بغداد – سلسلة بيت الحكمة ، ١٩٨٩م .

(١١٤) ينظر: علم الأصوات العام ، د. كمال بشر : الأصوات: ٢٣٤، دار غريب للطباعة – القاهرة ، ٢٠٠٠ م.

(١١٥) دروس في علم أصوات العربيّة: ١٦٣، ومصدريه الكتاب: ٤٥٢/٢، وشرح المفصل: ١٢٥/٢-١٢٧.

(١١٦) ينظر: التحديد في الإتقان والتجويد، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ت (٤٤٤ هـ) : ١٠٢، دراسة وتحقيق د. غانم قدوري الحمد ، ساعدت جامعة بغداد هلى طبعه ، مطبعة الخلود ط١ ، ١٩٨٨ واللغة العربيّة: معناها ومبناها د. تمام حسان : ٥٣، عالم الكتب – القاهرة ط ٥ ، ٢٠٠٦ م.

(١١٧) لسان العرب : ١٤/ ٢١١، وينظر: دراسة في أصوات المد العربيّة: ١٦٨- ١٦٩.

(*) أي المحافظة على نطق الفتحة أو الألف كما هما، دون الاتّجاه بنطقها نحو الكسرة أو نحو الياء.

(١١٨) ينظر: الكتاب: ٤/ ١٢٠.

(١١٩) ينظر: نفسه: ٤/ ١٢٢، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٦.

(*) أي إلى أصوات الاستعلاء السبعة: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والغين، والقاف، والخاء الّتي تمنع الإمالة في مثل صاعد، ضامن، طالب، ظالم، غائب، قائم، خامل. ويرى سيبويه أنّ هذه الأصوات مستعلية والألف

مستعلية أيضاً؛ فهي قريبة من بعضها فالعمل في نطق الألف مع هذه المجموعة أخفّ عليهم. ينظر: الكتاب: ٤/ ١٢٨، وبحث "شاده"، علم الأصوات عند سيبويه وعندنا: ٦١ الهامش.

(**) قال سيبويه: إذا كان ما بعد الألف مضموماً أو مفتوحاً لم تكن فيه إمالة.... وكذلك إذا كان الحرف الّذي قبل الألف مفتوحاً أو مضموماً، الكتاب: ٤/ ١١٨.

(١٢٠) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا: ١٦٠– ١٦١.

(١٢١) اللهجات العربيّة الغربية القديمة: ١٩٠ .

(١٢٢) نفسه: والصفحة نفسها.

(١٢٣) نفسه: والصفحة نفسها.

(١٢٤) نفسه: ١٩١.

(١٢٥) نفسه: ١٩٢–١٩٣.

(١٢٦) ينظر: دروس في علم أصوات العربيّة: ١٦٣، ومصدره : موادّ وأبحاث ، براڤمان: ٣٥–٣٨.

(١٢٧) نفسه: ١٦٣.

(١٢٨) نفسه: والصفحة نفسها.

(١٢٩) ينظر: دروس في علم أصوات العربيّة: ١٦٣–١٦٤.

(١٣٠) اللهجات العربية الغربية القديمة: ١٩٣.

(١٣١) لسان العرب : مادة (شمم) : ٣٢١/٢.

(١٣٢) المصطلح الصوتي في الدراسات العربيّة : ٢٤٧ ومصدره : الكتاب : ١٦٨/٤.

(١٣٣) ينظر: المدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن : ٩٤.

(١٣٤) دروس في علم أصوات العربيّة : ١٦٤.

(١٣٥) ينظر: حركات العربيّة : ١١٨.

(١٣٦) الكتاب : ١٧١/٤، وينظر: التحديد في الإتقان والتجويد: ٩٨–٩٩.

(١٣٧) الكتاب : ١٦٨/٤.

(١٣٨) دروس في علم أصوات العربيّة : ١٦٤.

(١٣٩) اللهجات العربيّة الغربية القديمة: ١٨٥.

The Arabic Voiced Sounds in the Orientalists
Dr. Bushra Hussein Ali Al-Fadhli
Certification and specialization: PhD Arabic Language / phonetics
Workplace: Ministry of Education- Secondary Baghdad College of distinct

Abstract:

The Arabic voiced sounds has obtained the interest of Orientalists, who agreed that the number of voiced sounds in Arabic are six: three are short (*fatha, kasra* and *dhama*), and three are long (*alef, wow* and *yaa*). The Orientalist Bragister had a different view. He sees that the voiced sounds are two not three and that *fatha* is a full accent, while *kasra* and *dhama* are imcmplete ones.

The Orientalists were concerned with the study of long and short voiced sounds in the writings of the Arabic language scholars and scholars of recitation.

The lengthening voiced sounds in Arabic had a share in their research which are: extension, amplification, prolonging and deflation.